الصوم عن الكلام وعن الأنام

خطبة الجمعة الثانية من رمضان 1437

17 يونيو 2016

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

الذي اذا تكلم سكتت الكائنات كلها وأنصتت كلها في خشوع , واذا قال فزعت قلوب الملائكة فانحبست الأنفاس وصعقت في انتظار اكتمال الوحي الالهي والأمر الرباني

الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام

يخفض القسط ويرفعه (الميزان والعدل والرزق)

ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل

حجابه النور , لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه

واضع يده لمسئ الليل ليتوب بالنهار ولمسئ النهار ليتوب مسئ الليل , حتى تطلع الشمس من مغربها..

اللهم قبسا من خشيتك تعرفنا به جمالك و عظمتك وقبسا من نور تعرفنا به جمالك وبهاءك وقبسات حنانك وحنوك ,نحن به على بعضنا البعض ونحنو به على بعضنا البعض...

وننفق من ذلك على من يرانا ومن حولنا..

سبحانك من عرفك تعلق بك وما فارق, ورحم وما عرف قسوة ولا غلظة (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وصلى الله وسلم مع ملائكته أجمعين على أفضل رجل صار نبيا خاتما في الدنيا وشفيعا مشفعا يوم الأهوال

صلى الله وسلم على الذي كشف له ما كشف وعرفه بما عرف , فعلمنا أن نسأل خير ما سأل فقال متضرعا لمولاه العظيم :{ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي , وتوفني ما علمت الوفاة خيرا لي اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة, وأسألك كلمة الحق في الرضا و الغضب , وأسألك القصد في الفقر و الغنى, وأسألك نعيما لا ينفد,وأسألك قرة عين لا تنقطع ,وأسألك الرضا بعد القضاء, وأسألك برد العيش بعد الموت, وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة...اللهم زينا بزينة الايمان و اجعلنا هداة مهديين} النسائي و أحمد

الباء للاستعطاف والتذلل..بعلمك الغيب, بحق احاطتك بالخفايا قبل الظواهر

وبقدرتك على الخلق: بحق القدرة النافدة على جميع المخلوقات إنسها و جنها ..

انظروا رحمكم الله إلى لائحة المطالب العليا عند أقرب الناس للقريب المجيب سبحانه..

الخير في الحياة والممات / والخشية في الغيب و الشهادة / وكلمة الحق في الرضى و الغضب/

والقصد في الفقر و الغنى/ والنعيم الذي لا ينفد/و قرة العين التي لا تنقطع / والرضا بعد القضاء/ويود العيش بعد الموت/ ولذة النظر إلى الوجه الإلهي الكريم/ والشوق إلى لقئه/ وجمال الإيمان وكمال الهداية..

أما بعد, إخواني الصائمين, أخواتي الصائمات..إخواني القائمين أخواتي القائمات... إخواني الراكعين أخواتي الراكعات..إخواني الساجدين أخواتي الساجدات..إخواني الذاكرين أخواتي الذاكرات...

إنه لشرف عظيم وعطاء كريم أن نعيش أجمل الأوقات وأشرف اللحظات في هذا الشهر المعظم المختار ,على مسافة هي الأقرب إلى القريب المجيب من باقي الشهور..ويعلمنا ربنا الأكرم الأرحم بأن الصيام بما أنه قطع للعلاقة مع الأرض التي أهبطنا إليها إلى حين (قطع طعامها و شرابها و شهوتها).. فإنه تسليم النفس إلى مولاها ليعيد ترتيب استوائها الأول وعندما قال :[ونفس وما سواها] وعندما قال :[يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك]...فإنه تعالى قد خلق كل شيء سويا ومعلوم أن الحالة السوية التي خلقنا الله عليها هي المطلوب منا المحافظة عليها والبقاء فيها وعدم التزحزح عنها ,وإذا تزحزحنا أو ابتعدنا أو ملنا ميلا عظيما ,فإنه ربنا لا يتركنا في سقوطنا وابتعادنا وميلنا بل يمد يده الكريمة المنزهة المطهرة إلينا فيبسطها سبحانه إلينا لنتمسك ونعاود النهوض ونصعد الى الحالة السوية ونقترب ونقترب...

[سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى]

وبما أن هذا العصر سماه أهله الغالبون عصر العلم والبحث العلمي, فإنهم قد علموا و أعلموا أن الصيام والجوع المنظم الذاتي , وليس التجويع الظالم للأمم و الشعوب والأفراد ..يعيد ترتيب الاختلالات الفظيعة التي تقع في الأبدان نتيجة النموذج الغذائي المتهور الباحث عن الشهوات و الشهيوات حتى صارت كتب الطبخ و برامج الطبخ و حفلات الطبخ و علوم الطبخ وفنادق الطبخ و محلات الطبخ ...هي الأكثر انتشارا في العالم مع شهوات الجنس واللعب.... فالانقطاع عن الأكل والشرب والنسل يعيد للجسم صلاحه المفقود ,ويقضي على الفساد الذي استمر فيه 11 شهرا ..وقد نهانا عن الإفساد في الأرض وانتهاك إصلاحها فقال :[ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين] الأعراف 56.

فذكروا أن كا الجهزة في جسم الإنسان تستفيد من الصيام و ذكروا أن الصيام يقوم بعمليتي الصيانة و الترميم لتلك الأجهزة :(الكبد, الجهاز الهضمي, الجهاز اللمفاوي,و التنفسي والتناسلي ,والدورة الدموية ,والكليتين ,والسكر....و....و....فلم يتركوا شيئا في جسم الإنسان إلا و بينوا أن الصيام خير له كله.....

غير أن الجهاز الروحي والمعنوي والجوهري للإنسان يستفيد هو الآخر من شهر الصيام والقيام , وربما كانت استفادته أكثر و أحسن ...لأن أمراض الروح أكثر انتشارا في عصرنا المادي الشهواني , وأكثر فتكا

بالأفراد والجماعات و البشرية ...وبسبب تلك الأمراض المستعصية يبحث المرضى عن علاجات منحرفة ووهمية فتظهر مذاهب و عقائد و طوائف وكنائس ومعابد ومساجد ضالة مضلة تضاعف الأمراض

هذا من أبرز أمراض عصرنا ..شهوة الكلام وكثرة الكلام وسيلان الكلام و فيضان الكلام, بل وبراكين الكلام... حتى غرقت الأرض في بحار من الكلام الصادر من الإذاعات والقنوات والمسجلات واللاقطات ..وهو حال شنيع خطير لم يسبق أن عاشته البشرية من قبل ...ولم ينج منه حتى شهر رمضان بإنتاج برامج جلها كلام في كلام وبمختلف اللغات ةاللهجات والطرائق و الألحان...

والصيام هو العلاج الوحيد الفريد لهذا الداء العضال المتفشي ...وقد ذكر علماء السلوك والتربيةو التصوف أن أركان السير القلبي إلى الله تعالى هي: (الجوع والصمت و السهر و الخلوة و الذكر) و هذه الأركام متحققة في شهر رمضان صياما و قياما و اعتكافا ..دون حاجة الى ابتداع بدع عملية ليست من أصول الدين ,(الصمت الاختياري التعبدي)

وقد ذكر القرآن الكريم في سورة مريم عليها السلام قصتين لقطع الكلام عن النام واليشر امتثالا لأمر الآمر الحكيم العليم , القصة الأولى هي قصة زكرياء عليه السلام حين اشتاق للخلف والولد رغم شيخوخته وعقم زوجته ,فبشرته الملائكة بتحقق دعائه الخفي وهو يصلي بالمحراب ,ومن دهشته وتعجبه طلب من الله آية [قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ,فخرج من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة و عشيا]

والقصة الثانية هي قصة مريم الصديقة المتبتلة المختلية بربها , فأكرمها ببشارة أذهلتها و صعقتها وهي أن تلد غلاما زكيا دون زواج ولا زوج , ولمواجهة الحملة الكلامية المغرضة لذوي النفوس الضعيفة الخبيثة المسارعة للاتهام والافتراء قال لها المبشر لها سبحانه و تعالى [فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا].

فالجامع بين القصتين المعجزتين هو الخلوة والاعتكاف والصوم عن الكلام مع النام ..والتفرغ لتلقي البشارة الإلهية الكريمة ,وتقديم النفس خدمة للمولى عزوجل ,وتحمل الحملات الكلامية النابيةفي سبيل الله تعالى ..

نفعني الله واياكم بآيات الذكر الحكيم و بأحاديث خاتم الأنبياء و المرسلين و غفر لي و لكم و لسائر المؤمنين , والحمد لله رب العالمين

<u>**الخطبة الثانية**</u>

الحمد لله رفيع الدرجات ذي العرش يلقي الروح على من يشاء من عباده , والصلاة و السلام على خير من عبده و تخلى له و اعتكف له وتلقى وحيه..

أما بعد , إخواني المؤمنين أخواتي المؤمنات ..

فإنه من سنة خير من صام لله وقام لله عليه الصلاة والسلام أنه كان يجتهد في رمضان كله , ويبلغ ذروة اجتهاده ومنتهى اجتهاده و قمة اجتهاده في العشر الأواخر من رمضان ..ففي ذلك العشر الأواخر توجد ليلة التنزيل والتحول العظيم وتلقي بشارة النبوة واللقاء مع الروح الأمين وتلقي القراءة العليا والعلم الخاص من رب الأرباب العزيز الوهاب.

ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : [وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر (العشر الأواخر من رمضان) شد مئزره و أحيا ليله و أيقظ أهله] إذن هي ثلاثة أمور كان يضيفها معامنا وهادينا ومزكينا الى الأعمال الأخرى في رمضان بمناسبة دخول العشر الواخر منه, هي : شد المئزر/ و إحياء الليل/و إيقاظ الأهل .. وشد المئزر تعبير مهذب جميل على الانقطاع حتى عن الرفث إلى النساء الذي أحله الله تعالى للصائمين حين قال :[أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهم] اعتزال النساء و إحياء الليل معناه أنه لا ينام الليل بل يقضيه كله في التعبد والتخنث لله...

و إيقاظ الأهل معناه إشراك أسرته صلى الله عليه و سلم في الذكر و القيام و الدعاء لله تعالى..

ومن سنته صلى الله عليه و سلم في العشر الأواخر أيضا الاعتكاف بالمسجد فيدخله ولا يخرج منه إلا بعد انتهائها و إعلان العيد ..ففي صحيح البخاري أيضا روت أمنا و أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حاله صلى الله عليه و سلم فقالت: [كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ,فلمل كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما].

و الاعتكاف تحنث و انقطاع عن الخلق إلى الخالق والخروج من عالم الناس إلى عالم رب الناس , ومن الاختلاط الى التفرد و الاختلاء مع الله تعالى ,قراءة لكتابه , وتدبرا فيه, وصلاة به ليلا و نهارا, و تسبيحا وتهليلا و حمدا و شكرا واستغفارا و تضرعا و دعاء..

و هذه كلها طاقات و أنواع من الزاد يتزود بها كل راغب في حب مولاه ورعاية مولاه و صحبة مولاه و تأييد مولاه و نصرة مولاه....فهي ليست بطالة و لكنها اشتغال وليست انطفاءا ولكنها اشتعال, وليست هروبا ولكنه اقبال...وبهذه السنن النبوية الرفيعة تستعيد الأرواح روحها وريحانها و سواءها و استواءها , وزادها و إنفاقها , وبصرها و إبصارها , وسمعها و إنصاتها...

فتصبح شعلة نور تنير السبيل لصاحبها ولأصحابه و لخصومه...